جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر

ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30 العدد: 02 السنة: 2026

مجلة المعيار
EL MIEYAR

العقلانية والروحانية في الفكر الإسلامي: دراسة في فكر ملا صدرا

"Rationality and Spirituality in Islamic Thought: A Study of Mulla Sadra's Philosophy"

د. أمينة تليلي بلحسن[1]
amina-tlili@outlook.fr

تاريخ الاستلام: **2025/07/27** تاريخ النشر: **2026/03/15**
Received: 27/07/2025 ***published: 15/03/2026***

ملخص المقال:
يرتكز الفكر الإسلامي على ثنائية ظلت مدار جدل، ألا وهي العلاقة بين العقلانية بوصفها تجليا للبرهان والمنطق، والروحانية باعتبارها أفقا للكشف والشهود. وقد تجلّت هذه العلاقة بأوضح صورها في فلسفة صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)، الذي حاول ضمن مشروعه "الحكمة المتعالية" أن يُؤسّس لتكامل معرفي بين العقل والروح، وبين البرهان العقلي والتجربة الذوقية، ويهدف هذا البحث إلى تحليل العلاقة الجدلية بين العقلانية والروحانية في فكره، انطلاقًا من إشكالية مركزية تتمثل في مدى إمكان الجمع بين العقلانية والروحانية دون تعارض أو إخلال بأحد الطرفين.

الكلمات المفاتيح: العقلانية، العقل، الروحانية، الفكر، الحكمة.

Abstract:
Islamic thought is based on a long-debated duality: the relationship between rationality—seen as a manifestation of logic and reasoning—and spirituality—as a horizon for mystical insight and inner experience. This relationship is most clearly expressed in the philosophy of Sadr al-Din al-Shirazi (Mulla Sadra), who, through his project of "Transcendent Philosophy," sought to integrate rational proof with spiritual experience. This study analyzes the dialectical relationship between rationality and spirituality in his thought, focusing on whether it is possible to harmonize both without compromising either side.

***Keywords**: Rationality, Intellect, Spirituality, Thought, Wisdom,...*

(1) جامعة الزيتونة–تونس

مقدمة:

يشكّل الفكر الإسلامي مجالا معرفيا خصبا اتسم بقدرته على استيعاب تيارات معرفية مختلفة، تمثلت في العقلانية البرهانية من جهة، والروحانية العرفانية من جهة أخرى. وسعى منذ نشأته إلى تجاوز التقابل بين الوحي والعقل، متجاوزا الانقسام الظاهر بين الفلسفة والدين.

وفي هذا السياق، برزت فلسفة صدر الدين الشيرازي، المعروف بـ"ملا صدرا"، بوصفها نتيجة لتراكم طويل من التأملات الفلسفية والذوق العرفاني، فأسس مشروعه الفلسفي تحت اسم "الحكمة المتعالية". ولم تكن هذه الحكمة مجرّد تجميع لأقوال المتقدمين، بل كانت إعادة صياغة للعلاقة بين العقل والروح، وبين البرهان والكشف، حيث التقى البرهان الفلسفي مع الإشراق العرفاني ضمن رؤية وجودية متكاملة، تجعل من التجربة الروحية أفقا للمعرفة لا نقيضا لها. وقد تبلورت هذه الرؤية في ظل التحولات الفلسفية واللاهوتية التي شهدتها الدولة الصفوية (القرن الحادي عشر هجري)، حيث برزت الحاجة إلى تأصيل فكر يجمع بين العقل الشيعي والعرفان الإسلامي، في ظل صراع المدارس الكلامية والفلسفية آنذاك.

وعليه، فإن دراسة البعدين العقلاني والروحاني في فكر ملا صدرا لا تنطلق من منظور ثنائي تقابلي، بل من منظور تكاملي يرى في العقل والروح وجهين متكاملين لمعرفة الحقيقة. فقد تجاوز النزاع التقليدي بين الفلاسفة والمتصوفة، وأسّس لمقاربة معرفية ترى في البرهان العقلي والكشف الروحي معًا طريقين للحقيقة.

إشكالية البحث: تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية تتمثل في طبيعة العلاقة التكاملية بين العقلانية والروحانية في فلسفة ملا صدرا. إذ يشكّل مشروعه الفلسفي المسمى بـ"الحكمة المتعالية"، محاولة لتجاوز الثنائية التقليدية بين العقل والكشف، بين البرهان الفلسفي والتجربة العرفانية.

ومن خلال هذا الإطار، تسعى الدراسة إلى استكشاف الكيفية التي استطاع بها ملا صدرا بناء رؤية معرفية توفّق بين مصادر متعددة للمعرفة، تجمع بين التأمل العقلي والذوق الروحي، مما يفتح أفقاً لتكامل معرفي أكثر شمولاً. ومن هنا ينبع التساؤل الرئيس للبحث:

كيف نظّر ملا صدرا لعلاقة العقل بالروح ضمن رؤيته الفلسفية؟ وما الآليات المفهومية والمنهجية التي مكّنته من بناء نسق معرفي يجمع بين البرهان العقلي والكشف الروحي والتجربة العرفانية؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى تأسيس فهم منهجي متكامل للعلاقة بين العقلانية والروحانية في الفلسفة الإسلامية، من خلال قراءة فلسفية تحليلية لمشروع ملا صدرا. وتتجلّى الأهمية في النقاط الآتية:

- الإسهام في توضيح كيفية تكامل المعرفة البرهانية العقلية مع المعرفة الكشفية والعرفانية، وهو موضوع لم يُتناول بعمق كافٍ في الدراسات السابقة.
- إبراز الدور المحوري لملا صدرا في تطوير رؤية فلسفية تتجاوز الفصل بين العقل والروح.
- تحديد الأسس المفهومية والمنهجية التي اعتمدها ملا صدرا في بناء نسقه المعرفي المتكامل.
- فتح آفاق جديدة لتكامل المعرفة في مجالات الفلسفة، وعلم النفس الروحي، والدراسات الصوفية، بما يعزّز الحوار بين العقلانية والروحانية في السياق المعاصر.

أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

تحليل الأسس الفلسفية والعرفانية التي تقوم عليها فلسفة ملا صدرا، وبيان كيفية تداخلهما في مشروعه الفكري.

استجلاء منهج ملا صدرا في الجمع بين العقل والكشف، وإبراز الآليات التي استخدمها لتحقيق هذا التكامل.

مقارنة رؤيته بتيارات فلسفية سابقة، مثل الفلسفة المشائية عند ابن سينا، والعرفان النظري عند ابن عربي.

بيان إسهام ملا صدرا في تجديد الفكر الإسلامي من خلال تأسيس عقل عرفاني يتجاوز الانقسام التقليدي بين الفلسفة والدين.

منهج البحث:

ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت منهجًا يجمع بين المنهج **التحليلي** الذي يُعنى بقراءة النصوص، **والمنهج المقارن من خلال موازنة رؤيته برؤى فلاسفة سبقوه كابن سينا والفارابي، أو قاربه في التجربة العرفانية كابن عربي**، بالإضافة إلى توظيف **المنهج التأويلي** لفهم المصطلحات العرفانية في فلسفة ملا صدرا وكشف رموزها.

فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: تفترض أن ملا صدرا لم يجمع فقط بين العقل والكشف، بل أعاد تعريف العقل نفسه حيث أصبح يشمل البعد الشهودي، مما يعني القطيعة مع المفهوم الكلاسيكي للعقل كأداة برهانية فقط.

الفرضية الثانية: هذه الفرضية أعمق من مجرد ربط العقل بالروح، إذ تفترض أن التجربة العرفانية لا تعرّف الحقيقة فقط، بل تُنتجها ضمن مسار الوجود، وأن ملا صدرا ساهم في تحويل العقل إلى مكوّن وجودي لا فقط أداة معرفية.

الدراسات السابقة:

تُظهر الدراسات السابقة اهتمام الباحثين بمختلف جوانب فلسفة ملا صدرا، سواء في التعليم الديني، أو الروحانية، أو المقارنات الفلسفية، لكنها لم تتناول بشكل مباشر العلاقة الجدلية بين العقلانية والروحانية التي يدرسها هذا البحث.

1. **وحيانية الفلسفة في الحكمة المتعالية، محمود حيدر:**

ركزت على البعد الروحي والعرفاني في فلسفة ملا صدرا وتجربة الكشف والشهود الروحي. حيث تساعد هذه الدراسة في فهم الدور المركزي للروحانية والتجربة العرفانية، لكنها لم تربط هذا البعد بالعقلانية والمنهج البرهاني.

2. **الابستمولوجيا العرفانية "عند ملا صدرا وعلاقتها بالحكمة المتعالية، بن عبيد فؤاد:**

أبرزت هذه الدراسة نظرية المعرفة العرفانية عند ملا صدرا وصلتها بالحكمة المتعالية، وهو ما أفادني في توسيع مقاربتي نحو جدلية العقلانية والروحانية، فدراستي تهدف إلى استكشاف هذه الجدلية بعمق من خلال نموذج ملا صدرا.

يتضح أن الدراسات السابقة ركزت على جانب محدد من فلسفة ملا صدرا، بينما يقدم مقالي تحليلاً متكاملاً للعقلانية والروحانية في منظومة "الحكمة المتعالية"، موضحا كيف يشكل العقل تمهيدا للروح، والروح بلوغا أعلى للمعرفة وصولا إلى الإنسان الكامل، وهو ما يغلق فجوة معرفية لم تتطرق إليها الدراسات السابقة.

الإطار المفاهيمي: العقلانية والروحانية

يُعدّ ضبط المصطلحات من الأهمية بمكان، خاصة تلك التي تشكّل العمود الفقري للبحث، وهما "**العقلانية**" و"**الروحانية**":

1.1أولا: العقلانية اللغة: جاء في معجم لسان العرب تعريفها: "من (عَقَلَ) أي حَبَسَ، والعقل يُعرف بأنه: "الحابس عن ذميم القول والفعل". (ابن منظور، 1405، 479/11)

أما اصطلاحًا فهي: "اتجاه معرفي يجعل من العقل المصدر الأساسي أو الأوحد للمعرفة. وهي موقف فلسفي يعتبر العقل كافيا لإدراك الحقائق دون حاجة إلى الكشف أو النقل". (وهبة موسى، 1988، 312)

وأما في الفكر الإسلامي: "العقلانية تُجسَّد في مناهج الاستدلال البرهاني التي تبناها فلاسفة الإسلام مثل الفارابي[2] وابن سينا[3]، وتُعيد تجليها في نسق ملا صدرا باعتبار العقل مرحلة أولى من مراتب المعرفة، تكتمل بالكشف". (نصر، سيد حسين، 1991م، 215)

1.2 ثانيا: الروحانية

لغة: "من (روح) أي الراحة والسكينة، والروح تُطلق على النفخة الإلهية في الإنسان التي بها حياته". (ابن منظور، 1405، 430/2)

اصطلاحا هي: "الميل إلى إدراك المعاني الباطنية من خلال صفاء النفس وتطهير الباطن". و"الروحانية هي نزوع إلى المطلق، تتأسس على الاتصال العميق بالحقيقة، عبر الكشف والتجربة الذوقية".(صليبا، جميل، 1982، 436/1)

وفي الفكر الإسلامي: " الروحانية هي انتقال العبد من عبودية الحس والمعقول إلى حرية الشهود والوصال".(ابن عربي، محي الدين، 1980، 128/1)

تُظهر المعالجة المفاهيمية أن "العقلانية" و"الروحانية" يمثلان اتجاهين معرفيين متمايزين من حيث المنهج ومصدر المعرفة؛ فالعقلانية تستند إلى البرهان والاستدلال، بينما تعتمد الروحانية على الصفاء الباطني والتجربة الذوقية. ومع ذلك، لا يعني هذا التمايز تعارضًا مطلقًا، بل يشير إلى إمكانية التكامل ضمن مشروع معرفي يعيد صياغة العلاقة بين العقل والكشف.

ومن هنا تكتسب فلسفة ملا صدرا أهميتها، إذ تقدم نموذجًا فلسفيًا يُعيد تركيب هذين المفهومين في إطار "الحكمة المتعالية"، بوصفها مشروعًا يجمع بين البرهان العقلي والشهود الروحي في وحدة معرفية ووجودية متجاوزة. وهذا ما سنتعمق في كشفه وتحليله خلال هذا البحث، من خلال دراسة كيفية تجسيد ملا صدرا لهذا التكامل الفريد بين العقلانية والروحانية ضمن مشروعه الفلسفي.

المبحث الأول: الخلفية الفكرية لملا صدرا وأسس مشروعه الفلسفي

2.1 المطلب الأول: الخلفية الفكرية لملا صدرا

- أولا: المسار العلمي والفكري لصدر الدين الشيرازي

يُعد صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بملا صدرا (1571–1640م)[4]، من أبرز أعلام الفلسفة في العالم الإسلامي خلال العصر الصفوي. "وُلد في شيراز وتلقى علومه الأولى هناك، قبل أن ينتقل إلى أصفهان التي كانت مركزا علميا مزدهرا آنذاك، ليدرس على

---

(2) هو: شيخ الفلسفة الحكيم أبو نصر، محمد بن محمد التركي الفارابي المنطقي، أحد الأذكياء، له تصانيف مشهورة، كان موته بدمشق في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة عن نحو من ثمانين سنة. (الذهبي، 1994، 147/15-148)

(3) هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، المعروف بابن سينا، طبيب وفيلسوف عربي الأصل، وُلد في بخارى سنة 370هـ، واشتُهر في الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية. له مؤلفات كثيرة أهمها "الشفاء" و"القانون في الطب". كان عالماً موسوعياً، وقد جمع بين الفلسفة اليونانية وخاصة أرسطو، والعلم الإسلامي، وكان له تأثير كبير على الفلسفة والطبيعة في الشرق والغرب. توفي في همدان سنة 428هـ. (الذهبي، 1994، 178/13-180)

(4) هو: ولد في شيراز عام (980هـ/1571م)، ونشأ في ظل بيئة علمية وثقافية مزدهرة. تلقى علومه الأولى في شيراز، ثم رحل إلى أصفهان، حيث تتلمذ على كبار العلماء، أبرزهم مير داماد في الحكمة والشيخ البهائي في الفقه والكلام. وبعد فترة من العزلة والتعبد في منطقة كهك قرب قم انصرف فيها إلى التزكية والسلوك العرفاني، عاد إلى التدريس والتأليف، فأسس مدرسته الفلسفية الخاصة التي مزجت بين الفلسفة المشائية، والإشراقية، والعرفان النظري، والكلام الشيعي،

كبار العلماء مثل بهاء الدين العاملي(5) والشيخ محمد باقر المجلسي(6) ومير داماد(7) الذين شكّلوا ما يُعرف بالحركة الإشراقية والفلسفية في إيران الصفوية(8)". (نصر، سيد حسين، 1991م، 215).

وقد "جمع ملا صدرا بين العلوم النقلية والعقلية، فاطلع على الفقه والأصول والكلام، لكنه انكبّ على دراسة الفلسفة والعرفان، وبلغ فيها مرتبة عالية حتى اتجه إلى العزلة والتأمل في قم ثم في كهك، وهناك تبلور مشروعه الفكري الذي سماه بـ"الحكمة المتعالية"(9)، حيث حاول

فيما عُرف باسم الحكمة المتعالية. أهم مؤلفاته كتابه الشهير "الأسفار الأربعة"، الذي يعرض فيه مشروعه الفلسفي الشامل، إضافة إلى أعمال أخرى مثل "الشواهد الربوبية"، "المبدأ والمعاد"، و"شرح أصول الكافي". توفي ملا صدرا أثناء توجهه لأداء الحج عام (1050هـ/1640م) في مدينة البصرة أو على طريق مكة، ودُفن هناك على الأرجح. (نصر، 1999، ص 199-204).

(5) هو: محمد بن حسين العاملي، وُلد في بعلبك عام (953هـ/1547م) في أسرة دينية هاجرت إلى إيران لأسباب عقائدية. تلقى علومه الأولى على يد والده، ثم انتقل إلى أصفهان حيث نال رعاية الشاه عباس الصفوي، وتلقى علوم الفقه والحكمة والرياضيات والفلك. فإلى جانب مكانته في الفقه الشيعي، عُيّن شيخًا للإسلام في الدولة الصفوية، وكان من أبرز رموزها العلمية والدينية. توفي عام (1030هـ/1621م) ودُفن بداية في أصفهان، ثم نُقل جثمانه إلى مشهد ودفن قرب ضريح الإمام الرضا. (مطهري1985، ص 122–129).

(6) هو: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ولد في أصفهان عام (1037هـ/1627م) في أسرة علمية بارزة، وتلقى تعليمه الديني على يد والده والعلامة الحر العاملي والفيض الكاشاني. عُرف بتوجهه المحدثي المعارض للفلسفة والعرفان، وساهم في ترسيخ المذهب الإمامي الاثني عشري ضمن مؤسسات الدولة الصفوية. تولّى منصب "شيخ الإسلام" في أصفهان، وكان له نفوذ واسع دينيًا وسياسيًا. من أهم أعماله موسوعة "بحار الأنوار"، التي جمع فيها روايات أهل البيت (ع) في أكثر من مئة مجلد، توفي عام (1111هـ/1699م) ودُفن في مسجد جامع أصفهان. (العاملي، 1983، 9/248–250).

(7) هو: محمد باقر بن محمد الحسيني الأستراآبادي، المعروف بـ"مير داماد"، وُلد في القرن العاشر الهجري، ورجّح بعض الباحثين ولادته في حدود (970هـ/1563م). برز كأحد أعمدة مدرسة أصفهان الفلسفية، وكان فقيها وفيلسوفا ومتكلما. تلقى علومه في أصفهان، واشتهر بنظريته في "الحدوث الدهري"، والتي حاول فيها التوفيق بين قدم العالم وحدوثه، وبهذا أسّس لاتجاه فلسفي مميز. من أبرز تلامذته الملا صدرا الشيرازي. من مؤلفاته المهمة: "الرواشح السماوية"، "السبع الشداد"، و"القبسات"، وهي مؤلفات تعكس مزجه بين الكلام والفلسفة والعرفان. توفي عام (1041هـ/1631م) ودُفن في النجف الأشرف. (المظفر، 1994، ص 87–93)

(8) هي: دولة شيعية تأسست في إيران عام (907هـ/1501م) على يد الشاه إسماعيل الصفوي (ولد 892هـ/1487م)، الذي أعلن المذهب الإمامي الاثني عشري مذهبًا رسميًا للدولة، نشأت الدولة الصفوية في مدينة أردبيل، مستفيدة من الزعامة الصوفية للطريقة الصفوية التي تحوّلت تدريجيًا إلى حركة سياسية–عسكرية.

بلغت الدولة أوج قوتها في عهد الشاه عباس الأول (حكم 996–1038هـ / 1588–1629م)، الذي نقل العاصمة إلى أصفهان، ورعى الحركة العلمية والثقافية، مما أدى إلى ظهور ما يُعرف بـ"مدرسة أصفهان الفلسفية"، التي برز فيها أعلام كمير داماد، والشيخ البهائي، والملا صدرا. كما دعم تأسيس الحوزات، وأعاد تنظيم السلطة الدينية تحت إشراف الدولة.

اتسمت الدولة الصفوية بدمجها بين البُعد الديني والمركزي في الحكم، وقد لعب العلماء دورًا جوهريًا في بناء هوية الدولة، لا سيما من خلال توطيد المذهب الجعفري وإنتاج موسوعات فقهية وحديثية ضخمة. سقطت الدولة عام (1135هـ/1722م) على يد القبائل الأفغانية بقيادة محمود الأفغاني، بعد تدهور داخلي وضعف اقتصادي وسياسي.(الدوري، 1993، ص 201–213)

(9) **الحكمة المتعالية**: هي المدرسة الفلسفية التي أسسها صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)، وتمثل ذروة التطور الفلسفي في العالم الإسلامي، إذ جمعت بين العقل المشائي، والكشف الإشراقي، والذوق العرفاني. وقد أحدث ثورة في مبحث الوجود من خلال نظريته في "أصالة الوجود"، و"تشكيك الوجود"، و"الحركة الجوهرية". اعتبر أن العقل وحده لا يكفي، بل لا بد من صفاء النفس وتهذيبها لبلوغ الكمال المعرفي. (نصر، 1999، ص227)

تجاوز التعارض بين العقل والنقل، وبين الفلسفة والعرفان، ليقدم رؤية فلسفية موحدة تستند إلى الوجود كأساس لكل معرفة".(نصر، 1991، 218).

وتميز المسار الفكري لملا صدرا الفكري بالتكامل حيث: "جمع بين منهج المشائيين العقلاني، وذوق الإشراقيين الروحي، وشهود العرفاء الصوفيين، مما جعله من أبرز فلاسفة الإسلام في العصر الصفوي".(كوربان، 2001، 298).

– **ثانيا: السياق الثقافي والديني زمن الدولة الصفوية**

"تبنت الدولة الصفوية المذهب الشيعي الاثني عشري مذهبًا رسميًا، مما انعكس على البيئة الفكرية التي نشأ فيها ملا صدرا. ازدهرت العلوم الإسلامية في هذا العصر، وتأسست حوزات علمية كبرى، أبرزها في أصفهان، والتي كانت نقطة التقاء للفلسفة والكلام والعرفان والفقه"(مطهري، 1995، 194-195).

فأخذ ملا صدرا من المدرسة الفارسية فلسفة متكاملة المعارف والمناهج، "حيث كانت البيئة التي نشأ فيها مهدًا للدمج بين الفكر الفلسفي والعرفاني".(حكمت، 1982، ص 112)

"وقد شجّع هذا المناخ العلمي على ظهور تيارات فكرية حاولت تجاوز الانقسام بين العقل والنقل. وقد كان لمير داماد أستاذ ملا صدرا دور كبير في هذا الإطار، حيث طرح فلسفة قائمة على الجمع بين الإشراق والمشائية، مما مهد الطريق لتلميذه كي يصوغ مشروع "الحكمة المتعالية"(المظفر، 1986، 22). كما لعب تأثير ابن عربي[10] في مجال العرفان دورًا هامًا في تكوين ملا صدرا، لا سيما في تصوره للوجود وللإنسان الكامل.(نصر، 1991، 224). فكان هذا السياق الثقافي والديني عاملاً حاسمًا في تكوين رؤيته الفلسفية التي تجمع بين العقلانية والروحانية، تعمل لإقامة معرفة موحدة بين البرهان والشهود والكشف.

2.2 المطلب الثاني: الأسس الفلسفية والمنهجية لمشروعه "الحكمة المتعالية"

أسس ملا صدرا مشروعه الفلسفي المعروف بـ"الحكمة المتعالية"، والذي حاول فيه دمج الأفكار الفلسفية والروحية في نسق متكامل، مبني على عدة مبادئ رئيسية منها:

– **أولا: الجمع بين المشائية، الإشراقية، والعرفانية**

لقد "قام مشروع ملا صدرا على تجاوز النزاعات بين المدارس الفلسفية الكبرى في الإسلام، وخصوصًا المشائية[11]، الإشراقية[12]، والعرفانية[13]. فقد رأى أن الحقيقة لا تُدرك من منظور واحد فقط، بل من خلال التكامل بين مختلف المناهج. ولذلك جمع بين التحليل

(10) هو: محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الأندلسي، شيخ المتصوفة، وفخرهم، وأعلامهم، يُقال له شيخ الأكبر، وُلِد في سنة 560هـ في مرسية، وحدث له طواف كثير في طلب العلم ومنازل التصوف، وقدم دمشق، وتوفي بها سنة 638هـ، وهو صاحب كتاب "الفتوحات المكية" و"الكتاب الفصوص". كان أديبا فاضلا، عالما حافظا للقرآن، عارفا بأسرار الشريعة، عظيم التأثير في التصوف، فكان له عدد من الأتباع ومحبو التصوف. (الذهبي، 1994، 223/14)

(11) المشائية: هي المدرسة الفلسفية التي تأسست على يد أرسطو وبلغت أوجها في الفلسفة الإسلامية بفضل ابن سينا، حيث اعتمدت على المنهج العقلي الاستدلالي والتحليل المنطقي. سُميت "المشائية" نسبة إلى عادة أرسطو في إلقاء دروسه أثناء المشي، وانتقل هذا الاسم إلى من تبعه في المنهج. يرى الفلاسفة المشّاؤون أن الواقع يُفهم من خلال التعقل المحض، دون الاعتماد على الحدس أو الكشف. وقد رسخ ابن سينا هذا المنهج، مؤسسًا لفلسفة عقلية تقوم على التحليل المنطقي والقياس البرهاني، مع إدخال بعض الرؤى الميتافيزيقية الإسلامية ضمن الإطار العقلي الفلسفي. (نصر، 1999، 227)

(12) الإشراقية: المدرسة الإشراقية تأسست على يد شهاب الدين السهروردي، وتُعد محاولة لتجاوز العقلانية الصرفة للمشّائين عبر إدخال الحدس والكشف كوسيلة للمعرفة إلى جانب العقل. يرى السهروردي أن "النور" هو أصل الوجود، وأن المعرفة الحقيقية لا تتم فقط بالبرهان العقلي، بل أيضاً بالإشراق الداخلي.

العقلي عند ابن سينا (المشائية)، والذوق (الإشراقي) عند السهروردي[14]، و(الشهود الوجودي) عند ابن عربي". (نصر، 1991، 225-226)

وبهذا أسس مذهبه المعروف بـ"الحكمة المتعالية" باعتباره تتويجًا لهذا الجمع. فبدلاً من أن ينقض المدارس السابقة، دمج رُؤاها داخل نسق فلسفي موحد، يتخذ من الوجود محورًا للتفكير، ويستثمر إمكانات العقل والكشف، مع الالتزام بالوحي والشرع. من هنا، "اتسمت فلسفته بالشمولية والديناميكية، إذ لم تعد الفلسفة مجرد تحليل منطقي، بل سبيلا للكشف عن الحقيقة الكلية للوجود".(نصر، 1991، 227)

وقد عبر عن ذلك في مقدمة كتابه الأسفار الأربعة قائلا: "إن هدف الفلسفة هو الترقي من ظلمات الجهل إلى أنوار الوجود" (الشيرازي ، 1999، 05/1)، وهو ما يعكس المزج بين الرؤية البرهانية والنزعة العرفانية في مشروعه.

- **ثانيا: الجمع بين البرهان والكشف في بناء المعرفة**

ومن أبرز ملامح مشروع ملا صدرا أنه: "لم يكتفِ بالبرهان العقلي وحده في بناء المعرفة، بل اعتبر الكشف والشهود وسائل ضرورية لاستكمال الحقيقة. وهو يرى أن المعرفة لا تقتصر على المفاهيم العقلية، بل تتطلب تطهير النفس ومجاهدتها، حتى تتمكن من اتحاد العارف بالمعروف" (الطباطبائي، 2004م، 118). "حيث يُعتبر الكشف والشهود الروحيان جزءًا أساسيًا من البنية المعرفية، مما يعكس تداخل العقل والروح في بناء المعرفة"(حيدر، (2020م).

وقد صاغ منهجًا معرفيًا يقوم على ثلاث مراتب البرهان، الذوق، والكشف، حيث يكون العقل دليلاً نحو الحقيقة، لكن الكشف هو الذي يمنحها تحققًا وجوديًا. ويقول في ذلك: "العقل مقدمة للسير، والكشف طريق التحقيق، والشرع مصدّق لكل ذلك"(الشيرازي، 1999، 40/3). إن هذا التصور يُخرج الفلسفة من إطارها التجريدي، ويجعلها سلوكًا وجوديًا وتحققًا باطنيًا، لا مجرد نشاط ذهني. وبهذا، تتكامل المعرفة في أفق تتحد فيه أنوار البرهان وصفاء الذوق وصدق الشهود.

يظهر تتبع الخلفية الفكرية لملا صدرا أن مشروعه لم ينشأ في فراغ، بل كان ثمرة تفاعل مع تراث فلسفي طويل، امتدّ من الفلسفة المشائية إلى الحكمة الإشراقية، مرورًا بالتجربة العرفانية. وقد أسس من خلال ذلك ما عُرف بالحكمة المتعالية، التي مثّلت محاولة للتوفيق بين العقل والذوق، وبين البرهان الفلسفي والكشف العرفاني.

المبحث الثاني: العقلانية في مشروع ملا صدرا الفلسفي

1.3 المطلب الأول: مفهوم العقل ودوره في فلسفة ملا صدرا

الإشراقية تمزج بين الفلسفة والعرفان، وتُقر بأن الكمال المعرفي يتحقق من خلال الصفاء الروحي والاتصال بعالم الأنوار، مما يجعلها فلسفة نورانية ذات طابع ميتافيزيقي وروحي عميق. (كوربان، 2001، 298)

(13) العرفانية: تشير إلى تيار فكري وفلسفي يقوم على المعرفة الذوقية والباطنية التي تُكتسب من خلال التجربة الروحية المباشرة، لا عن طريق العقل فقط. يعتمد العرفانيون على تهذيب النفس وتطهير القلب للوصول إلى معرفة الحقائق الوجودية. هذه المدرسة ترتبط بشكل وثيق بالتصوف الإسلامي، وتركز على الكشف والشهود والفيض الإلهي، ويُعد ابن عربي من أبرز رموزها. تختلف العرفانية عن الفلسفة العقلية في كونها ترى أن المعرفة الحقيقية بالله والكون لا تنال إلا بالمجاهدة الروحية. (حجازي، 1999، 153)

(14) هو: شهاب الدين يحيى بن منصور السهروردي، الحكيم والمحدث والمتصوف، مؤسس الحكمة الإشراقية، وُلد سنة 549هـ في السهرورد، وأظهر فضله وعلمه في بغداد ودمشق، وله مؤلفات كثيرة في الفلسفة والعرفان، وكان له شأن عظيم في التصوف والفلسفة الإسلامية. وكان معارضًا لبعض المتصوفة، وحُكم عليه بالموت في حلب فقتل سنة 587هـ. (الذهبي، 1994، 235/14)

- **أولا: مفهوم العقل**

"العقل عند ملا صدرا ليس مجرد أداة معرفية تحليلية، وإنما هو جوهر حيّ يتطور ويتحرّك. فهو يبدأ بالعقل الحسي المتعلق بالإدراك الخارجي، ثم يرتقي إلى العقل النظري المنظم، وصولا إلى العقل الفعّال الذي يبدأ فيه العقل بالاتحاد مع معقولاته، وينتهي عند العقل الخارق أو الفعال الكامل، حيث يتحقق الاتحاد الحقيقي مع العقول المفارقة"(الزين، 1995، ص 103).

"يؤكد ملا صدرا أن العقل هو نقطة البداية في مسيرة المعرفة. فهو أداة لإثبات الأدلة وتحليل الحقائق. لكن دوره لا يقتصر هنا، بل يمتد ليكون جسرًا بين المعرفة الظاهرية والباطنية. فبعد إثبات البرهان، يدخل العقل في مرحلة الذوق، ثم الاعتداد بالكشف كمرحلة نهائية، فتتحقق المعرفة الوجودية الكاملة"(مشرفة، 1991، ص 142). وهذا التدرج لا يمثل ارتقاءً معرفيا فقط، بل انتقالا وجوديا، فالعقل يتشكل ويتحول، ويصبح في أعلى مراتب الوجود.

- **ثانيا: دور العقل**

يحتل العقل مكانة مركزية في فلسفة ملا صدرا، إذ يعتبره أداة أساسية في تحصيل المعرفة والارتقاء نحو الحقيقة. وقد توسع ملا صدرا في مفهوم العقل ليشمل مستويات مختلفة من الإدراك، فـ: "العقل في فلسفة ملا صدرا هو جوهر متحرك ومتطور، يستطيع الارتقاء من مجرد الإدراك الحسي إلى المعرفة الحضورية، مما يجعل العقل ليس مجرد أداة ثابتة بل كيانًا حيًا متغيرًا"(الغزالي، 1980، ص 89).

ويعزز هذا الطرح ما أورده حسين الزين في مدخل إلى فلسفة ملا صدرا، مشيرًا إلى أن ملا صدرا صنف العقل إلى مراتب متعددة، كل منها يمتاز بخصائصه ومستوى إدراكه، موضحًا دور العقل في تجاوز حدود الفكر العادي نحو المعرفة الوجودية بقوله: "يتعامل ملا صدرا مع العقل بوصفه حركة روحية متكاملة تتقدم في مستويات إدراكية، حيث يبدأ بالعقل النظري، ثم ينتقل إلى العقل الفعال، ثم العقل الخارق، وهو ذلك الذي يحقق الاتحاد بالمعقول"(الزين، 1995، ص 103).

فيصبح الإدراك العقلي بهذا المعنى: "عملية تشكّل وجودي، حيث تتدرج النفس من التصور إلى التصديق، ثم إلى الاتحاد مع المعقول، أي أنها "تصبح ما تعرفه" في أعلى درجات التحقق. وهذا المفهوم يفتح أفقًا جديدًا للفكر العقلي، حيث لا يكون العقل مجرد أداة محايدة، بل ذاتًا فاعلة تشارك في الوجود ذاته". (الطباطبائي، 2003، 191)

وبهذا "تُعد هذه النظرية تجسيرًا فعليًا بين الفلسفة والعقل، لأنها تقوّض التصورات الثنائية بين العارف والمعلوم، وتؤسس لنوع من التوحّد الوجودي داخل عملية الإدراك. من هنا، يُصبح "العقل قوة وجودية، لا فقط أداة للبرهان"(الشيرازي، 1999، 205/3).

2.3 المطلب الثاني: العقل البرهاني وحدوده عند ملا صدرا

- **أولا: مراتب العقل** يرى ملا صدرا أن: "العقل ليس قدرة واحدة بل سلسلة من المراتب، تبدأ من الحس المشترك وتنتهي بالعقل الفعّال (العقل الكامل)، مرورًا بالعقل الهيولاني (الذي لم يتصل بعد بالعالم الفكري الكامل[15])، ثم العقل بالملكة، ثم بالفعل،

---

(15) هو: نوع من العقل الذي لا يمتلك صورًا أو معاني مستقلة بذاته، بل هو عقل "مادّي" أو "مستقبل"، يَنتقل عبره الشكل أو الصورة من المادة إلى العقل. يُطلق عليه أحيانًا "العقل الفعال" أو "العقل المادي" في الفلسفة الإسلامية، وهو العقل الذي يستقبل الصور الحسية وينقلها إلى العقل الفعّال. يُعتبر هذا المفهوم من أساسيات فلسفة النفس عند الفلاسفة المسلمين وخاصة في فلسفة ابن سينا، حيث يميّز بين العقل الفعال (العقل الكامل) والعقل الهيولاني (الذي لم يتصل بعد بالعالم الفكري الكامل) (ابن سينا، 1997، 1/215-220).

وأخيرًا بالفعل التام"(الشيرازي، 1999، 215/2). وهو بهذا يتبع المراتب التي وضعها ابن سينا، لكنّه يحمّلها دلالة روحية ووجودية أعمق.

– **ثانيا: محدودية العقل أمام مراتب الشهود**

يولي ملا صدرا العقل أولوية في مسار تحصيل المعرفة، ويعتبر البرهان الوسيلة المنهجية التي تحدد صحة المواقف. لكنه في الوقت ذاته لا يغلق الباب أمام التجربة الروحية، وإنما يرى أن البرهان العقلاني والتجربة الشهودية يتكاملان في الوصول إلى المعرفة الحقيقية. وهذا ما وضحه علي مصطفى مشرفة بقوله: "العقلانية عند ملا صدرا ليست مجرد تطبيق للمنطق، بل هي حركة مستمرة في دائرة المعرفة بين البرهان والنقل، حيث يتداخل العقل والروح ليُنتج معرفة متكاملة"(مشرفة، 1991، 142). وقد نحى فؤاد بن عبيد المحنى نفسه بقوله: "قصور العقل يكبح تكامل الإنسان، لذلك لابد له من عرفان، لكن ينبغي أن ينضبط ذلك بإشراف النص المقدس للهداية" (بن عبيد، 2015، 24).

ورغم مركزية العقل في البناء الفلسفي لملا صدرا إلا أنه يُقرّ بحدوده، خاصة عندما يتعلّق الأمر بالمعارف الوجودية العليا والحقائق الغيبية. فالعقل النظري، مهما بلغ من دقة وبرهان، يظل قاصرًا عن إدراك ما يُدرك بالشهود والكشف. ولذلك، لا يرفض ملا صدرا العقل، بل يعتبره مقدّمة ضرورية للوصول، لا الغاية نفسها (نصر، 1991، 235).

وهو يعبّر عن ذلك بقوله: "إن العقل مثل من يفتح الطريق، لكنه لا يصل إلى مقصده إلا إذا سلك طريق المجاهدة"(الشيرازي، 1422، 211-212)، أي أن المعرفة الكاملة لا تكتمل إلا بارتقاء النفس إلى مقام الشهود والتجلّي. هنا يلتقي العقل بالروح، والفلسفة بالعرفان.

وهذا الموقف يبيّن أن ملا صدرا لم يكن عقلانيًا تقليديًا، بل عقلانيًا مجددا، يرى في العقل خطوة أولى نحو مدارج أعلى من المعرفة، وهي مراتب الكشف الذي لا يُنافي البرهان، بل يُتمّمه. وهذا الطرح يوضح قدرة ملا صدرا على الجمع بين الدقة البرهانية والانفتاح على التجربة العرفانية، ويضع الأساس لفهم التكامل بين العقل والروح، وهو ما يبرهن على عمق مشروعه الفلسفي وتفرده في تاريخ الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: الروحانية وتجربة المعرفة العرفانية

4.1 المطلب الأول: مفهوم الروحانية والمعرفة العرفانية

تقوم فلسفة ملا صدرا على الجمع بين العقل والروح في طريق المعرفة، فلا يقتصر إدراك الحقيقة عنده على البرهان العقلي وحده، بل يمتد ليشمل التجربة الروحية والشهود العرفاني. ومن هنا برزت أهمية الروحانية في مشروعه الفكري، إذ جعلها مكمّلة للعقل ورافدة له في الكشف عن حقائق الوجود، لتتأسس معرفة شمولية تتكامل فيها الحكمة والعرفان.

– **أولا: مفهوم الروحانية وعلاقتها بالعقل**

تشكّل الروحانية بعدا جوهريا في فلسفة ملا صدرا، حيث لا تقتصر المعرفة على العقل والمنطق فقط، و: "الروحانية في فلسفة ملا صدرا ليست نوعًا من التجريد العاطفي، بل هي حركة وجدانية متطورة نحو تحقيق الكمال، وتكامل الوجود بين الجسد والروح، والعقل والقلوب"(حجازي، 1999، 153). وعليه، يرى ملا صدرا أن الروحانية لا تعارض العقلانية، بل هي تكملتها، حيث

تسهم في الكشف عن حقائق الوجود الخفية التي لا يمكن للعقل وحده أن يصل إليها، مما يجعل المعرفة شمولية تجمع بين البرهان العقلي والشهود الروحي.

فـ: "في فلسفة ملا صدرا، لا تعني الروحانية نقيض العقل، بل امتدادًا عضويًا له. فالروحانية تدعم العقل وتكمله، وتمكنه من الوصول إلى إدراك حضوري مباشر مبني على البرهان. فالعقل البرهاني يمهّد، والروحانية تنفتح في الكشف الوجودي المتمرس على طهارة النفس ومجاهدة الذات"(الزين، 1999، 103). وهذا يجعل العقل والروح يشكلان منظومة معرفية متكاملة، لا انفصال فيها، وبالتالي تُصبح المعرفة شمولية تجمع بين الحكم والحدس والشهود.

- **ثانيًا: الروحانية والمعرفة العرفانية**

تُعتبر الروحانية في فلسفة ملا صدرا أداة أساسية للوصول إلى المعرفة العرفانية التي تتجاوز حدود العقل النظري لتفتح للإنسان أفقا جديدا من الإدراك المباشر للحقائق الإلهية. فالمعرفة العرفانية عنده ليست مجرد تصورات عقلية، بل هي شهود حضوري وذوق باطني، حيث يصبح العارف حاضرا مع الحقيقة حضورا وجوديا لا مجرد تصور ذهني. ويُعبر عن ذلك بالقول: "المعرفة ليست عملية غير محدودة أو فعل كائن للإنسان، بل لها حدود بسبب الآلية البشرية للمعرفة"(الشيرازي، 1999، 45/1). وبهذا فالروحانية شرط للمعرفة العرفانية، بوصفها "الهداية إلى النور الرباني للوصول إلى معرفة الحق سبحانه". على حد تعبير بن عبيد (بن عبيد، 2015، 21).

وبذلك تصبح العلاقة بين الروحانية والمعرفة العرفانية علاقة تكاملية، وهذا ما يجعل فلسفة ملا صدرا مشروعًا جامعًا بين الفلسفة العقلية والتجربة العرفانية في إطار وحدة معرفية متكاملة.

4.2 المطلب الثاني: دور التجربة العرفانية في تحقيق المعرفة الكلية

والتجربة العرفانية هي تجربة روحية عميقة تتميز بالإدراك المباشر للحقيقة الإلهية والوجودية، وتتجاوز فيها المعرفة العقلية إلى المعرفة الحسية والشهودية التي تصل إلى جوهر الذات والكون. في التصوف الإسلامي، يُقصد بالعُرفان الإدراك الداخلي الذي يبلغه العارف بالله عبر مراحل من التزكية والسلوك الروحي، حيث يصبح العارف مُحاطًا بنور الفهم واليقين، ويتصل بالله مباشرةً بلا حجاب. تتضمن التوحيد القلبي والوجداني الذي يشكل أساسًا للمعرفة الحقة في التصوف، وتختلف عن المعرفة العلمية أو النظرية (الغزالي، 1977، 160-165).

- **أولا: العرفان عند ملا صدرا**

وتقوم تجربة العرفان عند ملا صدرا على أساس "الاتحاد العقلي والروحي"، حيث يصبح العارف مشاركًا في حقيقة المعرفة، لا مجرد متلقي لها، ما يحقق صيرورة معرفية متكاملة بين العقل والحس والروح. و"تجربة العرفان لدى ملا صدرا هي نقطة التقاء الفكر والوجد، حيث تتحقق معرفة مباشرة وفردية لا يمكن تفسيرها بالمنطق وحده، بل هي استنارة روحية تتحقق عبر تطهير النفس وصقل العقل"(شحرور، 2002، ص 192).

وبهذا يحتلّ العرفان الصوفي مقاما مركزيا في مشروع ملا صدرا، لكنه ليس عرفانا شعوريا مطلقا، بل عرفان عقلاني مضبوط بالبرهان والمنهج. إذ يعتبر ملا صدرا أن الكشف الصادق لا يُناقض البرهان العقلي، بل يواكبه ويكمله. قائلا: "المعرفة الصادقة لا تكتفي

بالبراهين، بل تتجاوزها إلى ما يسميه الكشف الوجودي، الذي لا يُنال إلا عبر التهذيب والمجاهدة "(الشيرازي، 1422، 211-214).

كما تميّز ملا صدرا برفضه للفصل الحاد بين العقل والعرفان، منتقدًا أولئك الذين يتحدثون عن مقامات دون أساس من العقل أو الشرع مؤكدًا أن: "الكشف إذا تعارض مع صريح البرهان فهو باطل"(الشيرازي، 2004، 34/1).

وبذلك يكون العرفان عنده امتدادًا للعقل، وليس نقيضًا له، بل هو المرحلة التي يتم فيها الاتحاد بين البرهان الذهني والتجلي الوجداني. ومن هنا جاءت تسميته لمدرسته بـ"الحكمة المتعالية"، التي تتجاوز حدود التصور العقلي إلى مراتب أسمى من الإدراك.

- **ثانيا: مراحل العرفان ومقام الإنسان الكامل**

1 **مراحل العرفان:**

يمثل العرفان الإسلامي مسارًا روحانيًا يسعى إلى تحقيق الاتحاد الوجودي وينقسم هذا المسار إلى مراحل متدرجة تبدأ بالسلوك وتنتهي بالوصول إلى مقام الإنسان الكامل، الذي يُعد ذروة الكمال الروحي والمعرفي. وتفصيل هذا المراحل الآتي:

- **التخلية:** وهي المرحلة التي يُنقّى فيها القلب من الرذائل والأهواء النفسية. يُعتبر تطهير النفس ضرورة أولى قبل السير إلى الله. يقول الطباطبائي[16]: "إن العارف يبدأ بتزكية نفسه من الكدورات، حتى تصبح قابلة لتلقي الأنوار الإلهية"(الطباطبائي، 2003، 191).

- **التحلية:** في هذه المرحلة، يتحلى السالك بالأخلاق الفاضلة مثل الصدق، التواضع، والتوكل. السهروردي يرى أن "التحلي بالفضائل هو انعكاس لمرآة القلب بعد صقلها"(نصر، 1991، 215).

- **الفناء:** "هو الغاية القصوى للعارف، وهو تجاوز الثنائية بين العبد والرب"(الشيرازي، 1999، 205/3).

- **البقاء:** "وهو حالة الثبات بعد الفناء، حيث يعود العارف إلى الخَلق وهو متحقق بالحق، يؤدي رسالته بين الناس بنور الحق والمعرفة"(الشيرازي، 1999، 205/3).

وتسمى هذه المراحل بـ"المقامات" ومنها مقام المجاهدة، إلى مقام الذوق، وانتهاء بمقام الكشف والاتحاد الوجودي. في المرحلة الأخيرة، تُصبح النفس في حالة اتحاد تام مع المعقولات، فتتمثل حقائق الوجود فيها بشكل حيّ. وهذا ما يُعرف بمقام "الإنسان الكامل"، وهو الغاية الأنطولوجية في فلسفة ملا صدرا"(الشيرازي، 1422، 214).

2 **مقام الإنسان الكامل:**مقام الإنسان الكامل في العرفان الإسلامي ليس مجرد مقام نظري، بل حقيقة كونية تتجلى في الإنسان الذي أدرك ذاته الحقيقية واتحاد بالحق، حسب ابن عربي وترجمة هذا قوله: "القطب الذي عليه مدار الوجود، وبه حفظ العالم، وهو

---

[16] هو: محمد حسين بن محمد تقي الطباطبائي، وُلد في تبريز عام (1274هـ/1858م) في أسرة دينية علمية عريقة. عُرف بطروحاته العميقة في الفلسفة الإسلامية، الفقه، والتفسير، وخصوصًا تفسيره الشهير "الميزان في تفسير القرآن"، لعب دورًا بارزًا في إثراء الفكر الإسلامي الحديث، وبرز كمُجدد في الفلسفة الإسلامية خصوصًا في مجال فلسفة الحكمة المتعالية. من مؤلفاته المهمة أيضًا: "الرسائل العملية" و"الاقتصاد في تفسير الكتاب المقدس". توفي عام (1360هـ/1941م) في قم. (شريعتي، 1979، 15-23)

المظهر التام لجميع الأسماء الإلهية وهو الخليفة على التحقيق"(ابن عربي، 1980، 276/3). وفقًا لابن عربي الإنسان الكامل هو مركز الكون، وبمثابة المظهر الذي تتجلى فيه أسماء الله وصفاته. وهو التمثيل الكامل لخلافة الله في الأرض.

في حين يذهب الملا صدرا إلى أن الإنسان الكامل هو غاية الخلق: "الإنسان الكامل هو الذي قطع مراتب الوجود، فصار عاقلا ومعقولا، وصار الوجود عين ذاته فاستحق الخلافة الإلهية الكاملة"(الشيرازي، 1999، 205/3). وبهذا فالإنسان الكامل في فلسفته هو الذي تجاوز حدود الوجود الحسي والمادي إلى مراتب الوجود العليا، حيث يتوحد الوجود بذاته ولا يبقى منفصلاً عنه. هذا الاتحاد يجعله مستحقًا للخلافة الكاملة، حيث يمثل حضور الله في العالم المادي والمعنوي على حد سواء. وهكذا، يتبين أن مقام الإنسان الكامل ليس مجرد مرتبة أخلاقية أو معرفية، بل هو نتيجة لمسار روحي يمرّ فيه السالك بالتخلية والتحلية والفناء والبقاء.

يتضح من دراسة الروحانية والمعرفة العرفانية عند ملا صدرا أن الروحانية ليست مجرد نزعة وجدانية، فالمعرفة العرفانية عنده لا تقتصر على التصور العقلي، بل تتحقق عبر شهود حضوري وذوق باطني يمكّن العارف من الاتحاد بالوجود والحقيقة الإلهية. كما تتضح مراحل العرفان، من التخلية إلى البقاء، وصولا إلى مقام الإنسان الكامل، الذي يمثل ذروة الكمال الروحي والمعرفي، ويجسّد التكامل بين العقل والشهود الروحي.

الخاتمة:

ختامًا، تؤكد نتائج هذه الدراسة أن العلاقة بين العقلانية والروحانية في فكر ملا صدرا ليست مجرد جمع بين مفاهيم متناقضة، بل هي ترابط منهجي يعكس رؤية معرفية متكاملة. فقد أظهرت دراسة نصوصه الفلسفية أن البرهان العقلي يشكّل أداة أولية لضبط الفكر وتوجيه التجربة المعرفية، وهو بمثابة سلم معرفي يرتقي به الإنسان نحو مستويات أعلى من الإدراك. وفي المقابل، يُكمل الكشف الروحي والتجربة العرفانية هذا المسار، إذ يفتحان أفقا تجريبيا وجوديا يتجاوز حدود التحليل العقلي ويتيح للمعرفة أن تتحول إلى تجربة مباشرة للحقائق الكونية والوجودية.

ومن خلال مقارنة المراتب العقلية والروحانية، يتضح أن التكامل بينهما ليس جمعا شكليا، بل تنظيم منهجي يسمح لكل مستوى من المعرفة بأن يعزز الآخر: فالعقل يوفر المنطق، بينما تمنح الروحانية العمق، وهكذا تتشابك مستويات الإدراك لتنتج تجربة معرفية شاملة لا يمكن لأي منهما أن يصل إليها بمفرده. ويمكن استنتاج أن مشروع "الحكمة المتعالية" عند ملا صدرا يمثل محاولة جذرية لتجاوز الثنائية التقليدية بين العقل والروح، بين البرهان والفعل التجريبي، وبين العقل والنفس الإنسانية، ما يجعل منه نموذجًا معرفيًا متكاملاً قادرًا على الجمع بين الأصالة الفلسفية والتجربة الروحية.

وتعزز دراسة هذه العلاقة الاستنتاج القائل بأن ملا صدرا لم يُفصل العقل عن الروح، بل أسس منهجية تفاعلية دقيقة تسمح للمعرفة بالارتقاء التدريجي، فالعقل يمثل مرحلة أولية لتكوين يقين معرفي، تتبعه مراتب الكشف التي تُحقق الارتباط المباشر مع الحقائق الكونية والوجود الإنساني. ومن هذا المنظور، يصبح الإنسان العارف مرآة تعكس الحقائق الكونية، ويحقق وحدة بين الإدراك العقلي والتجربة الروحية، فيكون العقل والروح متكاملين لا متنافيين.

علاوة على ذلك، يُمكن استنتاج أن هذا التكامل المعرفي يحمل بعدا أخلاقيا ووجوديا عمليا، إذ أن ما يمنحه العقل من وضوح وتحليل يُدعم ما يقدمه الكشف من وعي شامل وعمق روحاني، ما يجعل المعرفة الصدرائية أداة لتوجيه الفعل الإنساني ضمن إطار

متوازن بين العقل والروح، بين البرهان والتجربة، وبين النظر والعمل. وهذا يؤكد أن ملا صدرا لم يقتصر على البحث عن معرفة نظرية، بل سعَى إلى بناء رؤية معرفية شاملة تثمر فاعلية أخلاقية وتجربة وجودية متكاملة.

وأخيرًا، تفتح هذه الدراسة المجال أمام المزيد من البحث في أثر هذه الرؤية على الفلسفات اللاحقة وفي الفكر المعاصر، حيث يمكن أن يُستفاد منها لتطوير نماذج معرفية تتجاوز الانقسام بين الاتجاهات العقلانية الصارمة والنزعات الروحانية غير المنظمة، مما يجعل مشروع ملا صدرا ليس مجرد تاريخ فلسفي، بل إطارًا حيًا لتطبيقات معرفية، أخلاقية ووجودية في الفكر الإسلامي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

- **أولا: الكتب**

- حجازي، مصطفى: **الروحانية الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط/1، 1999م.
- حكمت، علي أصغر: **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط/1، 1982م.
- الدوري، عبد العزيز: **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام والدولة الصفوية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط/2، 1993م.
- الذهبي، شمس الدين(ت748هـ): **سير أعلام النبلاء**، دار صادر، بيروت–لبنان، ط/2، 1414هـ/1994م.
- الزين، حسين: **مدخل إلى فلسفة ملا صدرا**، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط/1، 1995م.
- ابن سينا، أبو علي الحسين (ت428هـ): **الشفاء**، تح محمد حسن حسن، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط/1، 1997م.
- شحرور، محمد: **الروحانية والفلسفة**، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط/1، 2002م.
- شريعتي، علي: **محمد حسين الطباطبائي وفلسفة التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط/1، 1979م.
- الشيرازي، صدر الدين (ت1050هـ): **الأسفار الأربعة**، دار المصطفى، طهران–إيران، ط/1، 1999م.
- الشيرازي، صدر الدين (ت1050هـ): **شرح أصول الكافي**، تح: محمد خواجوي، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، طهران–إيران، ط/1، 2004م.
- الشيرازي، صدر الدين (ت1050هـ): **المبدأ والمعاد**، تصحيح: جلال الدين الآشتياني، مكتب الإعلام الإسلامي، ط/3، 1422م.
- صليبا، جميل: **معجم مصطلحات الفلسفة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ط/2، 1982م.
- العاملي، محسن الأمين (ت1952هـ): **أعيان الشيعة**، دار التعارف، بيروت–لبنان، ط/5، 1983م.
- ابن عربي، محي الدين (ت638هـ): **الفتوحات المكية**، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، ط/1، 1980م.
- الغزالي، محمد: **مقدمة في الفلسفة الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، ط/1، 1980م.
- الغزالي، محمد: **الطريق إلى الله: التصوف الإسلامي**، دار النهضة العربية، القاهرة–مصر، ط/1، 1977م.
- الطباطبائي، محمد حسين (ت1402هـ): **أصول الفلسفة**، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت–لبنان، ط/1، 2004م.
- الطباطبائي، محمد حسين: **نهاية الحكمة**، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت–لبنان، ط/1، 2003م.
- كوربان، هنري: **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية، بيروت–لبنان، ط/1، 2001م.
- مشرفة، علي مصطفى: **موسوعة الفلسفة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط/1، 1991م.
- مطهري، مرتضى: **مدخل إلى الفلسفة الإسلامية**، دار التعارف، بيروت–لبنان، ط/1، 1995م.
- مطهري، مرتضى: **المدرسة الإسلامية في إيران: العلماء والدولة**، طهران–إيران، ط/1، 1985م.
- المظفر، محمد رضا: **مدرسة أصفهان الفلسفية**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم–إيران، ط/2، 1994م.
- المظفر، محمد رضا: **المنطق**، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط/1، 1986م.
- ابن منظور، جمال الدين (ت711هـ): **لسان العرب**، تح: أمين الشنقيطي وآخرون، دار صادر، بيروت–لبنان، ط/2، 1405هـ.
- نصر، سيد حسين: **ثلاثة حكماء مسلمون: ابن سينا، السهروردي، وملا صدرا**، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت–لبنان، ط/1، 1991م.
- وهبة، موسى: **موسوعة مصطلحات الفلسفة**، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط/1، 1988م.

- **المقالات:**

- بن عبيد، فؤاد: **الأبستمولوجيا العرفانية عند "ملا صدرا" وعلاقتها بالحكمة المتعالية**، مجلة دراسات، العدد الثالث، ديسمبر 2015م.
- حيدر، محمود: **وحيانية الفلسفة في الحكمة المتعالية**، مجلة التنويري، نشر بتاريخ 17/أفريل/2025م، https://altanweeri.net/15894/وحيانيّة-الفلسفة-في-الحكمة-المتعالية

References :

- Ḥijāzī, Muṣṭafá : al-rūḥānīyah al-Islāmīyah, Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1999M.
- Ḥikmat, ʻAlī Aṣghar : Tārīkh al-falsafah al-Islāmīyah, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1982m.
- al-Dūrī, ʻAbd al-ʻAzīz : muqaddimah fī Tārīkh Ṣadr al-Islām wa-al-dawlah al-Ṣafawīyah, Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-ʻArabīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 2, 1993M.
- al-Dhahabī, Shams al-Dīn (t748h) : Siyar Aʻlām al-nubalāʼ, Dār Ṣādir, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 2, 1414h / 1994m.
- al-Zayn, Ḥusayn : madkhal ilá Falsafat Mullā Ṣadrā, Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1995m.
- Ibn Sīnā, Abū ʻAlī al-Ḥusayn (t428h) : al-Shifāʼ, tḥ Muḥammad Ḥasan Ḥasan, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1997m.
- Shaḥrūr, Muḥammad : al-rūḥānīyah wa-al-falsafah, Dār al-Fikr, dmshq-swryā, Ṭ / 1, 2002M.
- Sharīʻatī, ʻAlī : Muḥammad Ḥusayn al-Ṭabāṭabāʼī wa-falsafat al-tafsīr, Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1979m.
- al-Shīrāzī, Ṣadr al-Dīn (t1050h) : al-asfār al-arbaʻah, Dār al-Muṣṭafá, ṭhrān-ʼyrān, Ṭ / 1, 1999M.
- al-Shīrāzī, Ṣadr al-Dīn (t1050h) : al-mabdaʼ wa-al-maʻād, taṣḥīḥ : Jalāl al-Dīn al-Āshtiyānī, Maktab al-Iʻlām al-Islāmī, Ṭ / 3, 1422m.
- Ṣalībā, Jamīl : Muʻjam muṣṭalaḥāt al-falsafah, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 2, 1982m.
- al-ʻĀmilī, Muḥsin al-Amīn (t1952h) : aʻyān al-Shīʻah, Dār al-Taʻāruf, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 5, 1983m.
- Ibn ʻArabī, Muḥyī al-Dīn (t638h) : al-Futūḥāt al-Makkīyah, tḥ : ʻUthmān Yaḥyá, al-Hayʼah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, alqāhrt-mṣr, Ṭ / 1, 1980m.
- al-Ghazālī, Muḥammad : muqaddimah fī al-falsafah al-Islāmīyah, Dār al-Fikr al-ʻArabī, alqāhrt-mṣr, Ṭ / 1, 1980m.
al-Ghazālī, Muḥammad : al-ṭarīq ilá Allāh : al-taṣawwuf al-Islāmī, Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah, alqāhrt-mṣr, Ṭ / 1, 1977M.
- al-Ṭabāṭabāʼī, Muḥammad Ḥusayn (t1402h) : uṣūl al-falsafah, Muʼassasat al-Nashr al-Islāmī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 2004m.
- al-Ṭabāṭabāʼī, Muḥammad Ḥusayn : nihāyat al-Ḥikmah, Muʼassasat al-Nashr al-Islāmī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 2003m.
- Corbin, Hinrī : Tārīkh al-falsafah al-Islāmīyah, tara : Naẓīr Jāhil, al-Muʼassasah al-Jāmiʻīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 2001M.
- Musharrafah, ʻAlī Muṣṭafá : Mawsūʻat al-falsafah al-Islāmīyah, Dār al-Maʻārif, alqāhrt-mṣr, Ṭ / 1, 1991m.
- Muṭahharī, Murtaḍá : madkhal ilá al-falsafah al-Islāmīyah, Dār al-Taʻāruf, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1995m.
- Muṭahharī, Murtaḍá : al-Madrasah al-Islāmīyah fī Īrān : al-ʻulamāʼ wa-al-dawlah, ṭhrān-ʼyrān, Ṭ / 1, 1985m.
- al-Muẓaffar, Muḥammad Riḍā : Madrasat Aṣfahān al-falsafīyah, Muʼassasat al-Nashr al-Islāmī, qm-ʼyrān, Ṭ / 2, 1994m.
- al-Muẓaffar, Muḥammad Riḍā : al-manṭiq, Dār al-Fikr, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1986m.
- Ibn manẓūr, Jamāl al-Dīn (t711h) : Lisān al-ʻArab, tḥ : Amīn al-Shinqīṭī wa-ākharūn, Dār Ṣādir, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 2, 1405h.
- Naṣr, Sayyid Ḥusayn : thalāthat ḥukamāʼ Muslimūn : Ibn Sīnā, al-Suhrawardī, wmlā Ṣadrā, tara : Kamāl Abū Dīb, Dār al-Ādāb, Bayrūt-Lubnān, Ṭ / 1, 1991m.

Articles :

- ibn ʻUbayd, Fuʼād : alʼbstmwlwjyā al-ʻirfānīyah ʻinda "Mullā Ṣadrā" wa-ʻalāqatuhā bi-al-ḥikmah al-mutaʻāliyah, Majallat Dirāsāt, al-ʻadad al-thālith, Dīsimbir 2015m.
- Ḥaydar, Maḥmūd : wḥyānyh al-falsafah fī al-Ḥikmah al-mutaʻāliyah, Majallat al-tanwīrī, Nashr bi-tārīkh 17 / Afrīl / 2025m, https : / / altanweeri. net / 15894 / wḥyānyyt-ālflsft-fy-ālḥkmt-ālmtʻālyh